قراءة في المشاريع الفائزة بجائزة الأغا خان للعمارة ٢٠١٦ «٣»

رابعا: متنزه سوبركيلين، كوبنهاجن، الدنمارك، المعماري: بيغ BIG - مجموعة بيارك إنغلز، سوبرفليكس، توبوتيك ١، صاحب العمل: بلدية كوبنهاجن

سوبركيلين هو منتزه حضري بطول كيلومتر يقع في نوريبرو، وهو حي متنوع وفيه تحديات اجتماعية في كوبنهاجن. تم تصميمه من قبل معماريي بيغ مجموعة بيارك إنغلز، وفناني سوبرفليكس ومعماريي تنسيق الحدائق توبوتيك ١ بالتعاون مع المجتمع المحلي الذي يغلب فيه المسلمون، ويستقي أفكاره التاريخية للحديقة العالمية والمتنزه الترفيهي ويترجمها إلى سياق حضري معاصر. ومع جرعة صحية من الابتعاد عن الرسميات يلقي الضوء على الأبعاد الإيجابية للتعددية الثقافية ويدعو الناس صغارا وكبارا للعب.

سوبركيلين هو جزء من خطة تجديد حضري أوسع تم تطويرها كشراكة بين بلدية كوبنهاجن وجمعية خيرية خاصة ريلدانيا. واسمها يشير إلى المحددات الفيزيائية للموقع وهو «انثناءة» ضيقة تمتد بين اثنين من شرايين المرور المهمة. مسارات المشاة في المتنزه وممرات الدراجات توفر ربطا أفضل بين هذين الطريقين، في حين تصنع الإضاءة العامة شعورا أكبر بالأمان – وهو عامل مهم اعتباره في منطقة ابتليت تاريخيا بالجريمة. فاتحا ما كان يصعب الوصول إليه سابقا من الأحياء السكنية شرقا وغربا، يعيد سوبركيلين ربط المنطقة مرة أخرى بالبنية التحتية للمدينة ككل.

ويلعب اللون دورا مهما في المتنزه والذي ينقسم رسميا إلى ثلاث مناطق متميزة تم تنظيمها حول برامج مختلفة – الساحة الحمراء (السوق الثقافة الرياضة)، والسوق الأسود (غرفة المعيشة الحضرية)، والمتنزه الأخضر (الرياضة اللعب). ومن هذه فإن اللافت بصريا هو السوق الأسود، والمتأثر، بالنسبة للمعماريين، بفيلم دوغفيل لارس فون ترير عام ٢٠٠٣ والذي يستخدم ما يشبه المسرح المصغر عليه خطوط بيضاء على أرضية سوداء. وبنفس الطريقة يمكن أن ينظر للسوق الأسود كمسرح والذي يظهر السكان عليه هوياتهم في الفراغ العام.

هذه الهويات المتعددة واضحة في الأشجار والعناصر التي تفرش المتنزه، والتي تم اختيارها من خلال عملية تخطيط شاملة تشاركية. مقعد أرجوحة من بغداد، نافورة على شكل نجمة من المغرب، وطاولات شطرنج من صوفيا، وأطواق كرة سلة من مقاديشو – وهذه من بين ١٠٨ من عناصر المتنزه من ٦٢ بلدا أصليا للسكان المحليين. معا تشكل معرضا لأفضل ممارسة لأثاث الشارع من جميع أنحاء العالم وترمز لملكية السكان للمتنزه.

وترى لجنة التحكيم أسباب الفوز لهذا المشروع في إمكانية «العيش مع الناس الذين يختلفون. عنصريا وعرقيا ودينيا أو اقتصاديا. والذي هو التحدي الأكثر إلحاحا الذي يواجه المجتمع المدني المعاصر. في وقت تتزايد فيه الشكوك وانعدام الأمان العالمي أصبح من المألوف التحدث بدلالة «العوالم» . العالم الثالث، العالم الإسلامي، العالم العربي. كما لو كانت هذه تحتل كونا موازيا منفصلا عن البقية وتخضع لقواعد مختلفة. سوبركيلين هو متنزه حضري جديد في أحد أحياء كوبنهاجن الأكثر تنوعا وتحديا من ناحية اجتماعية، يرفض بشكل قاطع هذه النظرة مع مزيج قوي من الفكاهة والتاريخ والغطرسة.

وتضيف لجنة التحكيم « إنها فورا تجربة شخصية للغاية ومع ذلك جماعية بعمق، تزاوج تجارب الهجرة مع اجتماع تلقيطي من العناصر المعاد موضعتها والتنسيق الحدائقي المبتكر. وهنا تنصهر العمارة والتنسيق الحدائقي والفن بطريقة حقا متعددة التخصصات موفرة فرصا جديدة لتفاعل العامة التشاركي. ويتم تزويد مجموعة من النشاطات المختلفة مثل ركوب الدراجات والمشي وكرة السلة والهوكي في ثلاثة متنزهات منفصلة ولكن مترابطة والتي معا تشكل سطحا مستمرا مع السوق والمقاهي وفراغات التجارة الصغيرة ومناطق التجمع المكشوفة. وبهذه الطريقة يصبح المتنزه الحضري «مسرحا» عاما يلتقي فيه الجيران والغرباء والزوار. التنوع، كما لاحظ المعماريون، لم يكن ينظر له على أنه «مشكلة» تحتاج إلى حل، ولكن كأداة في عملية إبداعية انسيابية والتي أتاحت للمتنزه ليصبح دالة قوية على الهوية ووسيطا ثقافيا خفيا لسكان هذا الحي المتحدي تاريخيا.»

خامسا: جسر الطبيعة للمشاة، طهران، إيران، المعماري: ديبا تينيسل أركيتكتشر، صاحب العمل: شركة نوسازي عباس آباد

جسر الطبيعة للمشاة يمتد عبر طريق سريع مزدحم ليربط اثنتين من الحدائق العامة في المدينة مع النسيج الحضري الكثيف جدا وبشكل كبير العمارة النفعية. وكأكثر من مجرد نقطة اتصال بين مناطق خضراء منفصلة، يمثل الجسر مكان تجمع شعبيا لأهالي طهران حيث يقدم العديد من مناطق الجلوس على مستوياته الثلاثة ومطاعم في طرفيه. ومثل العديد من الفضاءات الخضراء ضمن المناطق الحضرية فإنه يخدم كمكان لهوية المدينة وسكانها.

الأعمدة التي تشبه شكل الشجرة وتدعم جسر الطبيعة للمشاة تعكس الأشكال الموجودة في المتنزهات المجاورة. مواقعها تم اختيارها بعناية لتقليل الحاجة للأشجار. حيث يلتقي الجسر مع متنزه أبو عطش تم ترك الإنشاء مفتوحا في ثلاثة أماكن للسماح للأشجار لتنمو من خلاله، وخلق الشعور بفضاء واحد أخضر متصل.

وبالنظر لشكل التقويس المعقد للجمالون ثلاثي الأبعاد، فقد كان على كل من عناصر الصلب أن تقطع إلى شكل مختلف، وهذا تم عمله بشكل جزئي بواسطة ماكينة باستخدام الحاسب الآلي وجزئيا بواسطة طباعة الشكل من نموذج ثلاثي الأبعاد. الأنابيب تم قطعها وسفعها ورسمها بماكينة في ورشة العمل، ثم تسليمها إلى الموقع. وخلال كامل عملية البناء، استمر تدفق حركة المرور على الطريق السريع دون انقطاع. وبدلا من التركيز على تجربة أولئك الذين يطالعون الجسر من بعيد، يتميز التصميم بمنهجية النظر للداخل: تتمحور متواليات الفراغات حول المستخدمين.

وترى لجنة التحكيم بأن» جسر الطبيعة للمشاة هو نسمة من الهواء المنعش في منطقة بخلاف ذلك متقشفة ومبنية بشكل عشوائي في طهران. إن تحدي ربط متنزهين مفصولين بطريق سريع قد قوبل بمنهجية والتي هي مثالا يحتذى به في سياق مشروع بنية تحتية، ليس فقط في طهران ولكن ربما في أي مكان في العالم.

«إن إعادة التفسير الواضحة للبرنامج الأصلي والتي دعت إلى ربط مباشر بين متنزهين اثنين قد حولت «جسرا» إلى «وجهة». داعيا الناس للتجمع والتفاعل وتقدير المنظر في كل اتجاه، أصبح الجسر متنزها وأحد الأماكن العامة الأكثر نجاحا في طهران الحديثة.

«إن استخدام الجسر للتكنولوجيا وتكامل العمارة والإنشاء أمر جدير بالثناء، وخاصة على ضوء التحديات التي واجهها الفريق في تصميم ومراحل استكمال المشروع. وبالرغم من أن لجنة التحكيم قد رأت أن هناك مجالا لمزيد من التحسين الجمالي للمنشأ، إلا أنهم اعترفوا بأن بعض قرارات التصميم ربما قد تأثرت بحقيقة أن الجسر يقع في منطقة نشاط زلزالي عالي.

«وبالرغم من هذا، فإن الجسر يعرض منطقا إنشائيا وهو بسيط ولكن قوي، منظم ولكن فوضوي، ولكن دائما وظيفي، واستفزازي ومرحّب. المساحة الفيزيائية للمنشأ قد تضاءلت، مع احترام تم إظهاره بالنسبة للأشجار القائمة والتضاريس الموجودة. إن الطبقات المعقدة لسطح الجسر، والتي تسمح وتشجع الأنشطة المختلفة قد تمت الإشادة بها من قبل لجنة التحكيم.

«جسر الطبيعة للمشاة هو مثال ناجح للمخاطرة المحسوبة من قبل صاحب العمل، والذي تلاقى مع حماس واندفاع مجموعة من المهنيين الأكفاء الذين يستحق عملهم الثناء ويستحق الملاحظة والاعتراف.»

سادسا: معهد عصام فارس، بيروت، لبنان، المعماري: شركة زها حديد للهندسة المعمارية، صاحب العمل: الجامعة الأمريكية في بيروت،

«هذا المبنى يؤكد بكل ثقة أننا لسنا الجامعة التي تبقى متجذرة في الزمان والمكان؛ وبدلا من ذلك نحن نتحدى التفكير التقليدي وندعم بنشاط التغيير والأفكار الجديدة» يقول بيتر دورمان، رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت، عن معهد عصام فارس كإضافة حديثة للجامعة الأمريكية في بيروت. ومن حيث شكله، فإن المبنى جرئ . نحو السياق، المبني والطبوغرافي على حد سواء.

السياق في هذه الحالة هو الجزء العلوي من الحرم الجامعي للجامعة الأمريكية في بيروت، الواقع على قمة تلة مطلة على البحر الأبيض المتوسط. في محيط قريب توجد أربعة مبان تاريخية وبعض أشجار السرو التي عمرها ١٥٠ عاما بالإضافة لواحدة من أكثر المناطق المفتوحة أهمية في الحرم الجامعي، البيضاوي الأخضر. وبالإستجابة لمعطيات الموقع، قام المعماريون بتقليل الأرض المبني عليها من خلال مد بروز طائر يمثل جزءا كبيرا من المبنى فوق فناء المدخل، وهي طريقة أيضا تعمل على توجيه فراغ البيضاوي الأخضر المجاور نحو قاعدة المبنى الجديد. المناظر الطبيعية القائمة تمت المحافظة عليها بما في ذلك الأشجار القديمة والتي تشكل نوعا من خط الإسناد كمرجعية لتحديد ارتفاع المعهد، كما هو واضح من النظرة على الواجهة الجنوبية. المزيد من الربط مع المناظر الطبيعية تم ترسيخه بواسطة التراس على السطح بالمناظر الواسعة التي يوفرها، ومن خلال منحدر الحركة الذي يتلوى بسلاسة خلال الأشجار للمدخل الجنوبي في الطابق الثاني.

معهد عصام فارس، مركز أبحاث للسياسات العامة والشؤون الدولية تبلغ مساحته الطابقية الإجمالية ٣٠٠٠ متر مربع، مقسمة على ستة طوابق. وتشمل مرافقه فراغات بحث ومكاتب إدارية وغرف ندوات ومشاغل، ومدرجا وغرفة مطالعة وصالة ترفيهية وتراسا علويا على السطح. وتنفصل الفراغات الداخلية بواسطة جدران زجاج مصطبغة جزئيا (رغم أن الفكرة الأصلية كانت أن يكون الزجاج صافيا، من أجل الحد الأقصى من الشفافية). والمنشأ مبني من الخرسانة المسلحة من نوعية عالية والمصنعة في الموقع، في تناغم مع ثقافة البناء المحلية باستعمال الخرسانة، وبخاصة الخرسانة طبيعية الملمس من الخارج.

وترى لجنة التحكيم أنه» كمبنى أخير في سلسلة من المباني، معهد عصام فارس يكمل الفناء البيضاوي المركزي للحرم العلوي من الجامعة الأمريكية في بيروت، والواقع على تلة مشرفة على البحر الأبيض المتوسط. وهذا المبنى التعليمي يحل برنامجا كثيفا ضمن أرض صغيرة بشكل مدهش بطريقة حساسة لسياقه والمحيط. مع شكله المعاصر ونقاء اللغة المعمارية فإن المبنى يميز نفسه عن جيرانه، رغم أنه ليس في صراع مع الحرم الجامعة وعمارته.

«ببروزه على الفناء وإطلالته على السرو القديم وأشجار اللبخ، فإن المبنى يقدم إنشاء حجميا قويا وأصيلا بدون قطع المنظر أمام المباني من خلفه. ارتفاع المبنى والمتطابق مع ارتفاع الأشجار والمنشآت المجاورة، يعمل على تقوية العلاقة القوية التي صنعها مع محيطه. وفي الأثناء، تحولت استراتيجية التخطيط الإنسيابية لتخدم كميزة فروقات مستوى الموقع، ولبيئة مرحّبة تم خلقها توفير مداخل على مختلف المستويات بوساطة منحدرات تنسج خلال الأشجار القائمة، في عملية أصبحت جزءا من التنسيق الحدائقي ذاته.

وبرأي لجنة التحكيم فإن» المبنى يصنع مساهمة شجاعة وفي نفس الوقت محترمة جدا لبيئة حسية متعددة الطبقات لهذا الحرم الجامعي التاريخي والمتجذر. بسطحه الخرساني البسيط والظاهر والحضور الحجمي القوي، هذا المبنى أنيق وأيضا يمثل حلا فريدا لسياق معقد وخاص.»

د. وليد أحمد السيد
sayyedw14@gmail.com